جمهور الخشبة: المسرح سلوك ووعي حضاري

ضمن فعاليات أسبوع المدى الثقافي السادس ، قدمت على قاعة فندق فلسطين ندوة ، فنية ثقافية مختصة بعنوان المسرح العراقي والجمهور ، شارك فيها كل من: الدكتور عقيل مهدي ، رئيساً للجلسة ، والدكتور مرسل الزيدي ، شارك ببحث بعنوان: المسرح والجمهور ، والدكتور محمد ابو خضير شارك بورقة نقدية ، عن تجربة سامي عبد الحميد وعلاقتها بالجمهور ، والدكتور عبد الكريم عبود كريم ، شارك بورقة بمضمون: من يصنع من ، المسرح يصنع الثقافة الشعبية ، ام الجمهور يصنع المسرح. وشارك ايضاً في الندوة الشاعر كاظم الحجاج ، والقصاص محمود عبد الوهاب بوصفهما ضيفين على الندوةمن بين ضيوف آخرين من طلبة الدراسات العليا.

في بداية الندوة رحب الدكتور عقيل مهدي بالمشاركين والضيوف وقدم مدخلاً سريعاً لموضوع الندوة ، ثم دعا الدكتور مرسل الزيدي لالقاء بحثه ، كان البحث طويلاً ضافياً استعرض فيه الدكتور مرسل مسيرة المسرح منذ نشأته ، ومروراً بسلسلة التجارب والتغيرات في الشكل والمضمون والتي مرت بالمسرح عالمياً ، وانعكاس ذلك على مسيرة المسرح العراقي وعلاقته بالجمهور ، مؤثراً ومتأثراً وانتهى الى خلاصة ، تقول: ان مقياس المشاهد المسرحي ، بدأ ينحدر ، بعد عد تنازلي ، ليصبح نخبة قليلة لا تمثل من المجتمع الا جزءاً صغيراً ، وربما نادراً وعليه فلنا ان نطالب المسؤولين لوضع اسس ، تستَنفر المشاهد ، باعتباره الاساس الذي تقدم عليه حركة النهوض الفني في المسرح وذلك بالتوصيات الآتية:

بغداد / المدى

١. ادخال مادة المسرح والفنون، مادة دراسية علمية منذ السنوات الاولى حتى التعليم العالي.
٢. ادخال المسرح في مجمل العملية التخطيطية للدولة شأنه شأن ابواب خطط التنمية.
٣. رفع غطاء القسر والرقابة عن المسرح ومنحه حرية التعبير.
٤. فتح المسارح للجماهير بعيداً عن حسابات الربح والخسارة، والاكثار من إنشاء المسارح، والعمل على تأسيس البيوت الثقافية وتنميتها في كل حارة ومجمع سكاني.
٥. التشديد، او توقف وسائل الاعلام عن تقديم المسرحيات التي تعتمد الأقلال من شأن الفرد، وجعله مادة للاضحاك السفيه، وتقديم الاعمال الرصينة، وكسر ما يسمى بالحدود، وحرية التنقل للفرق والفنانين في عموم الوطن لنشر رسالة المسرح وارتباط الجماهير بهم.

وبعد انتهاء البحث والتوصيات عقب رئيس الجلسة الدكتور عقيل مهدي مثنياً على رصانة وعمق البحث، ومشيداً بالجهد والمتابعة التي كانت وراءه.

بعدها اعطى الكلمة للدكتور محمد ابو خضير لتقديم ورقته النقدية التي تحمل العنوان الآتي: دراما، سامي عبد الحميد، أنموذجاً ما بعد الكولنيالية، إتجاه ظهر ضمن الاتجاهات المابعدية، مثل ما بعد البنيوية، ما بعد النسوية، وغيرها.

هذه النظرية تدعو الى ان يكون هنالك هوية لفنون الشعوب المستعمرة، مثل هيمنة الدول الكولنيالية، وخطابها الفني والجمالي، وهي حركة انصفت تراث الشعوب من آسيا وإفريقيا، وامريكا اللاتينية واميركا كذلك. وفي عقد الستينيات ظهرت الكثير من الحركات في الثقافة العربية والعراقية، دعت الى ما سمي في وقتها التأصيل او الرجوع الى التراث وقد انقسم المغيبون بهذا الشأن الى اتجاهين، اتجاه احتفى بالتراث بصيغة ما اسماه . جورج طرابيشي . بالجرح النرجسي، اما القسم الاخر فقد ذهب الى تراث الغرب، واتخذ موضوعة اليوتوبيا، وفي مسرحنا العراقي هناك الكثير من الاسماء التي ذهبت الى التراث، بهدف دفاعي درئي معززة موقفها وفق صيغة الخوف من الآخر (فوبيا) او بصيغة الندية.

في عروض المخرج سامي عبد الحميد، وبحكم اطلاعه على ثقافة الغرب، كانت له مهادات ومجاورات لما يمكن ان يكون، ما بعد كولنيالي، في عروض مثل هاملت عربياً، وعطيل في المطبخ، والليلة الثانية عشرة.

وفي كل هذه العروض حافظ المخرج على بنية ومستويات الطروحات الشكسبيرية، عبر الاحتفاظ بلغتها الاصل، وشطر التأثيثات الدلالية، والعلاماتية كما ان اداء الممثل السايكولوجي قد بقي على حاله، وبقيت فكرة سامي عبد الحميد، بعيدة عن آليات الفكر النقدي، للنص الشكبيري.

على الرغم من ان ثمة علامات تومض باتجاه ما بعد كولنيالي، خاصة في مسرحية (هاملت عربياً)، تغيير المكان والدلالات الملبسية، والطقوس، الموت والصلاة، والدفن، والرقصات للباحثين عن اللؤلؤ، والبحارة، التي عرفها الخليج العربي، وكذلك في (عطيل في المطبخ) فقد اوقف بنسبة ما بيئة الحدث الدرامي، ورحلة الى مكان اكثر تحضراً وهندسة، ممثلاً بكافيتريا السينما والمسرح، وشطب الكثير من الصفات والكنيات التي حملتها المسرحية وكذلك إدخال بعض العلامات التسليعية، مثل السفن، والببسي وحركات الطهاة وملابسهم.

بعد هذا العرض لفكرة الورقة التي قدمها الدكتور محمد ابو خضير، رحب رئيس الجلسة بالشاعر كاظم الحجاج، واعطاه الكلمة بالتعقيب، والتي كانت دعوة من الشاعر الى اعتماد القيمة الفنية للعمل المسرحي قبل كل شيء، بمعنى ان العمل الفني المسرحي يجب ان يضع الهاجس الفني الابداعي اساساً للعمل اما الفكرة والمضمون، فهي تحصيل حاصل، وسوف تحتاز قيمتها واهميتها من العمل الفني الابداعي، وضرب مثلاً بقصيدة لناظم حكمت، أنموذجاً لهذه الدعوة، بعده تحدث الدكتور، عبد الكريم عبود كريم مقدماً مضمون ورقته التي بعنوان: من يصنع من؟ المسرح يصنع الثقافة الشعبية، ام الجمهور يصنع المسرح، طرفي المعادلة هو المسؤول عن ذلك، منذ ان كان المسرح كهنوتياً الى ان اصبح علمانياً. علاقة المسرح بالجمهور لا تقل اهمية عن علاقة المواطن بأية مؤسسة ثقافية، او خدمية. فهل توصل الفنان العراقي الى ذلك، اعتقد انه بحاجة الى ان يؤسس هوية جسده المسرحي قبل أن يؤسس جسد الجمهور، أي عليه اولا ان ينكر بجمالية فنه ثم يفكر بوظيفته.

بعد هذا العرض السريع لورقة الدكتور عبد الكريم عبود، رحب رئيس الجلسة بالقاص العراقي محمود عبد الوهاب، وطلب منه المشاركة في ابداء رأيه، تحدث محمود عبد الوهاب عن تجربته المسرحية كتابة وتمثيلاً واخراجاً في فترات متباعدة تمتد الى طفولته وصباه، واخيراً انتهى الى محصلة تدعو الى اعتماد دراسة المسرح في المدرسة منذ الصغر وهذا ما سينشر ثقافة المسرح ويساهم في تكوين الجمهور المسرحي.

وفي الختام لقد كانت الندوة على جانب كبير من الاهمية والضرورة، لكنها اتسمت بالعجالة، في الطروحات والمناقشات، والتي كانت تحتاج الى الكثير من التأمل والمناقشة والتوضيح، من خلال الحوار النقدي للمشاركين إلا ان السرعة والعجالة حالت دون ذلك.

كلمة لا بدّ منها

نافذة للابداع تطلقها (المدى)

طالب فرج

مؤسسة المدى للاعلام والثقافة والفنون ، برحلتها في دورتها من كل عام، تبحث نحو استشكاف عوالم الابداع المتنوع، فهي في مسعاها هذا بلورة لملامح الحياة الثقافية، فهي تأخذ الفكر لتحط به في قالب الثقافة المتنوعة منبثقة منها مجالات الابداع الآخاذ والمبهر حتى تفسر لنا حبور خطواتها في جلب المفكرين والمثقفين اليها، فمؤسسة (المدى) كأنها توزع احساسات شبيهة بالورود والازهار والرياحين، لابد من ان يكتسب هذا الاحساس العطر الذي تتنفس به الارواح لتكون غادية في تجوالها وترحالها في احتفالات اسبوعها الثقافي من كل عام ، فهي صاحبة نفس فائر يحمل الهم الثقافي على عاتقها، والتي قد اكسبتها ذائقة غنية بعطائها.. فكأنما المهرجان قدم ماءً ليرشه في فنارات الابداع لتخرج رائحة شذى الورود صارخة بعطر ألوانها. ملقية على الشخصية المثقفة جلباباً من الضوع الرحب فكانت لفتنة هذه الرائحة هو العطاء والجني المثمر لذلك ظهرت الشخصية المثقفة بأنعكاساتها كذلك لـ (تنكت) عطراً وطيبة وهي بهذه الصفة قد ترجلت من اعلى جبالها وصولاً الى نخيل باسقاتها لتكون سباقة دوماً، وهي قد نفرت اشواق فراخ طائرة من عقول المثقفين قبل ان يستوي ريش اجنحتها، فاهتزت المشاعر والاحاسيس صوبها في احتفاليتها هذه ، فالشعور الواسع الرقيق والملتزم بمسؤوليته هو الذي يتأثر بكل ما مؤثر، ويهتز لكل نسمة صباح وتغريدة عصفور وهوسة فرح، هنا كانت لبادرتها الطيبة المرضية حتى تلت جبين الخمود وضعف الهمة فجاءت راضية مرضية فأستسلمت العقول والافكار الى منصة تألق ابداعها، مجسدة معانيها على ارض الواقع بصباح جديد، يتجدد مع كل دورة مهرجانية ومرحلية بنهضة افضل ثوباً واجمل زياً.

واذ نحتفي باسبوع (المدى) الثقافي في كل عام انما نصوغ لوناً جديداً للثقافة التي طالما قد فقدناها من فترة غير قليلة. مستذكرين ذلك الفكر الراسي والراكس بمعانيه مع الابتسامة والفرحة المتألقة، التي تحمل البشر والامل غاشية الوجوه، نحو آفق اعلى للأمل الناطق، بجناح اللهفة العالي، لتكون مهللة ومرحبة طوال فترة المهرجان ، فما كان على هذه المؤسسة الفتية والحديثة الا ان تجند جميع طاقاتها مستنفرة في استبسالها الكلمة الناطقة، بصراحة الرأي والفكر المفتوح على ابواب جميع المعارف الانسانية، ، بالرغم من تباعد المسافات وصعوبة الظرف، لابد من ان تتفتح الازهار والورود الثقافية والفنية وكل انواع الابداع على مسارح البلد، وكان هذه المرة على المسرح الوطني، فكانت انطلاقاته من بوق مؤسسة (المدى للاعلام والثقافة والفنون) حاضرة بجاهزيتها الثقافية فكان لدورها في أحالة مجرى الثقافات الراكدة بأنفاسها والتي كانت تخبو تحت طي النسيان من عدم استذكار المبدعين وعدم الالتفات الى صرح عناوينهم ونشاطاتهم الفعلية ، فما كان من هذه المؤسسة التي اخذت على عاتقها هذه المسؤولية الضخمة في توجيه هذه الروافد الابداعية الى مجرى واحد هو احتضانها لهذه الشريحة المثقفة بفعالية نشطة في صياغة الابداع لتستنطق ذلك الحلم الغافي على نجادة الفرصة السانحة ، مجسدة اياها في تثوير مجاميع الافكار والرؤى والصور من فوهتها، حتى تأخذ مدياتها، وتنهض من جديد لتبني قلاع ذلك الصرح الفكري.

عندما تدخل المسرح الوطني وتأخذك الانظار الى مديات اروقته وجدرانه وصالته التي مثلت مشهد الحياة الثقافية والفكرية، فأنك ترى الاحلام تطوف في كل مكان باحثة عن الفرصة التي تستدعيها والتي تخلت عنها منذ وقت ليس بالقصير الكثير من المؤسسات الاعلامية.

وانا باعتقادي ان مؤسسة (المدى) سوف تستشرق الثقافة من جديد على هامات الناس ليس من وراء الجبال فقط، بل سوف تمتد الى جميع اعماق ارضنا، وطبيعة المرحلة سوف تبرهن ما ذهبنا اليه.

فعندما تشاهد شخوص الثقافة في البلد في مختلف مجالاتهم وتصنيف ابداعاتهم، فهو تحفيز في الوقت ذاته لأستحضار قيم التراث من شعر ورسم وادب وثقافة مختلفة حتى تستذكر ملوحة الماضي (ونشغات) الحاضر، فتكون الحالة الجديدة فرضاً صحياً على جميع المثقفين والمعنيين بالشأن الثقافي عموماً وتكون متعدية مرحلة (الحشرجة) الثقافية التي مرت على البلد، وتكون صادحة بنبرة صافية في صرح الابداع، فنحن نختلف عن بقية شعوب الارض بوصفنا نمتلك إرثاً ثقافياً حاضراً تجود به النفس والروح من اطلالة ولاسيما اذا ما توفرت الفرصة والمناخ.

وانا باعتقادي ان مؤسسة (المدى) سوف تستشرق الثقافة من جديد على هامات الناس ليس من وراء الجبال فقط ، بل سوف تمتد الى جميع اعماق ارضنا ، وطبيعة المرحلة سوف تبرهن ما ذهبنا اليه.

طاولة المدى الاقتصادية..

اجماع على وجوب تسريع الاستثمار

اجمعت آراء الخبراء والاساتذة المعنيين بالاقتصاد وشؤونه، المجتمعين في (الطاولة الاولى) التي اقامتها (المدى الاقتصادي) من حيث يدرون او لا يدرون على ان يكون موضوعها العام . وهو موضوع بلا شك رئيس . تحت عنوان الاستثمار واقعه الحالي وآفاقه المستقبلية.

تناول الدكتور ماجد الصوري الموضوع من زاوية الواقع الذي ورث الحاجة الماسة الى التنمية والتي سببتها الحروب المتتالية وسنوات الحصار واندثار الكثير من البنية التحتية للاقتصاد العراقي واعباء الديون الهائلة المترتبة على ذلك وطالب بضرورة توفير الامن ليتسنى احلال الاطمئنان بين اوساط المستثمرين ان كانوا خارجيين او وطنيين محليين. ووجوب بناء اجهزة الدولة ودولة القانون.

فكل يوجب تخصيصات مالية كبيرة قدرها الدكتور بعشرات المليارات من الدولارات قد تقرب من المئتي مليون اذا حسبناها بحسب طريقة الحساب والتجاوز مع التطور السكاني ومستوى تطور الاقتصاد العالمي.

ولتحقيق ذلك ارتأى الصوري ضرورة وجود سياسة اقتصادية متماسكة ومتكاملة لتجنب الكثير من الازمات ولتحاشي المشاكل، وعول على اتخاذ هذه الاجراءات قيام توجهات ترسم سياسة توجد تنسيق الجهود وتوحيد الارادة السياسية للاستثمار والارادة الادارية المعنية بتيسير السبل والتوجه المهني لاستقبال رؤوس الاموال او الاستثمار، ومتابعته وملاحظة النتائج المرجوة منه فان يعبر الدستور والستراتيجية التنموية والالتزامات الدولية عن توجه الارادة السياسية نحو الانفتاح الاقتصادي . وهو ما يجب ان يتوافق معه قانون الاستثمار، الا ان الدكتور الصوري ابدى مع ذلك، بعض الملاحظات على القانون المذكور، فارتأى وجوب توضيح صلة الهيأة الوطنية لاستثمار في ما بين اعضائها وبينها وبين رئاسة الوزراء بحيث يكون لاعضاءا لهيأة كيان ذو فاعلية مجدية لا تنقصها التبعية الوظيفية التي تعتبر قدراً من امكانات تفعيل الجهود الضرورية اللازمة، واتاحة الحرية التامة للتعبير عن المتطلبات والمشروعات والاولويات التي تقع في مراحل التوجه الاستثماري، واشار كذلك في ضرورة توضيح العلاقة بين الهيأة الوطنية للاستثمار والهيأت الاخرى . سواء منها هيآت الاقاليم او الهيآت في المحافظات.

اما الاستاذ محمود علوش رئيس غرفة تجارة بغداد، فقد تناول موضوع الاستثمار من مدخل تفعيل قانون الاستثمار وان لا بد من اتخاذ خطوات عملية جادة توضع موضع التطبيق بناء على حاجات الواقع.

وما يخص اجتذاب رؤوس الاموال اللازمة، ابدى جملة مطالب ملتقياً فيها مع الدكتور الصوري ومع عدد من الخبراء والاساتذة المشاركين في الطاولة الذين شاركوا ايضا في المداخلات فكان في مقدمة ذلك استتباب الامن وسيادة القانون وتوفير الخدمات اللازمة للاستثمار، وبصورة خاصة الحاجة الى الكهرباء التي لا يستغني عنها قط، اضافة الى توفير الأيدي العاملة ولا سيما الماهرة منها.

وطالب بضرورة القضاء على الفساد الاداري والمالي لان بقاءهما يستنزف الامكانات الاستثمارية ان عاجلا او آجلاً وبإزالة المعوقات الادارية التي تقف دون التجاذب مع متطلبات المشاريع الاستثمارية التي تحول دون التشجيع على المضي في هذا السبيل. واكد الاهمية الماسة للاستخدام الامثل للموارد وتخصيص الجزء الاكبر للاستثمار وتحقيق التنمية المستدامة، وباقامة المشاريع الستراتيجية وتحديد الاولويات بحسب اهميتها التي يحددها عادة توفر الموارد الاولية المحلية والمعادن المتاحة التي تشكل قيمتها نسبة عالية من الكلفة الانتاجية والجدوى وحاجة السوق المحلية وخطوط الانتاج التي تخصص للتصدير. وتطرق ايضا الى قطاعي الانتاج الزراعي وانتاج المواد الانشائية لكونهما من القطاعات اللازمة للتنمية ولتوفير الخدمات للاستثمار. وطالب بضرورة الاهتمام بمشاريع الري، واعادة النظر بقانون التعرفة الجمركية وبتعليق الضرائب والرسوم وبأن تتزامن كل هذه الاجراءات مع سيادة القانون وتشغيل الايدي العاملة وتوفير فرص عمل منتجة وتقليص ظاهرة التضخم والاهتمام بعملية التمويل ودعم القطاع المعرفي التجاري والزراعي والصناعي والعقاري، والاهتمام بصندوق التنمية ودعم المشاريع ذات التكلفة المتوسطة والصغيرة.

الى غير ذلك من مطالب تقع في صلب قضية الاستثمار وعملية التنمية المستدامة، منها اتخاذ الاجراءات الحازمة لاعادة تأهيل المشاريع الصناعية المعطلة. وتوفير امكانية تشغيلها وتحديثها وتفعيل دور العاملين في العملية الانتاجية، وتجاوز ظاهرة المحاصصة والاقتصار على مبدأ الكفاءة والجدارة لتحقيق افضل النتائج مع عدم غض النظر عن مبدأ الثواب والعقاب. واولى اهمية مماثلة لتعضيد دور القطاع الخاص لتحريك الدورة الاقتصادية.

جانب من الطاولة